

الرُّوحُ الْإِسْلَامِيُّ

لحضرة صاحب العزة الاستاذ عبد الله عفيفي بك
إمام المصرية المنكية

حضرة صاحب المعالي رئيس رابطة الإصلاح الاجتماعي ، حضرات الإخوان :

التضحية إلى أبعد حدود الفداء ، والاخلاص إلى أشرف منازل الصفاء ، والسمو إلى الغاية التي لا غاية فوقها - هذه كلها روح الإسلام ، وطابع الإسلام ، بل هذه هي أول ما يواجه النظر من معنى الإسلام .

فالإسلام قبل أن يكون دينا محمديا ذا قواعد ومناك وأصول وفروع ، كان منذ الأزل القدم رمز تضحية وغاية فداء ، وشعار سمو روحى منقطع النظم لا يرتقى إلى الإتصاف به إلا أو لو انزم من الأنبياء والمرسلين والصدّيقين . فأيا نبى أو رسول أو صدق استخلصه الله لنفسه فقد أسلم ، أى أسلم وجهه وقلبه لله ، وأخلص نفسه وقبضه لله . وهذا الإسلام على هذا الوجه وبهذا الاعتبار ، وهو ما أراده الله منه حقا - هو أرفع ما يتصل إليه الانسان من شرف العاية ، وسناء الخلق ، وسمو الحياة .

لقد اصطفى الله ابراهيم أبا الأنبياء في الدنيا وجعله في الآخرة من الصالحين ، لأنه قال له أسلم فقال أسلمت لرب العالمين .

” وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ “ .

فالإسلام إذن عهد وميثاق يضع به الانسان روحه ونفسه وقلبه وقوله وعمله وورغائبه ومآربه وغضبه ورضاه في ميزان الله ، وفي الله يحب ويكره ، وفي الله يرضى ويغضب لا تصرفه عنه سبحانه سطوة ولا صولة ولا منصب ولا جاه .

هذه العقيدة الأزلية إذن مرتقى صعب لا يبلغه الا الأصفياء ، ومن ثم سأل إبراهيم ربه إن يمنحه هو وولده القوة على أن يكونا مسلمين فقال ” رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن

دُرَيْتَنَا أُمَّةٌ كَمَلِيَّةِكَ” وكان من إسلام إبراهيم أن أمره الله بحمل طفله الوحيد وزوجه
القائنة الى ابل لا ماء فيه ولا ازرع ولا شيء فيه ولا أحدا فاحتملها اليه حيث تركها هنا لك
بغير مشورة أو بحيلة ثم أوحى إليه في منامه أن يذبح هذا الولد العزيز بعد أن شب عن الطوق
ويبلغ معه السبعين ، فقام ليذبحه مطمئنا لأمر الله حتى اقتداه الله . وهذا العهد الذي أخذه الله على
إبراهيم ، وأخذه إبراهيم على اسماعيل وإسحاق وأخذه يعقوب على الأسيباط من بنيهِ ، هذا العهد
هو الذي أخذه علي بن رسول الله على حواريه أن يسلموا وجوههم الى الله وأن يكونوا بهذا
الاسلام أنصاره الى الله ، وهذا ما حكاه الله بقوله الكريم ” قَلَمًا أَحْسَنَ عَيْسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ” .

وهكذا كان الاسلام غاية سامية المرتقى لا يصل إليها إلا من صدق القصد وأرهف
العزم ووطن النفس على التضحية وأخلص القلب والسريرة لله رب العالمين .

وشاء الله عز وجل أن يكون هذا الاسلام أو هذه العقيدة الأزلية ديننا قائما يفيء اليه
الإنسان في كل زمان وزمان ، فقدم الانسانية مرحلة جديدة وأعد الناس اعدادا جديدا
وهيا لهذه الرسالة العظيمة بهذا صلى الله عليه وسلم ، وزود هذا الرسول الكريم بكل الوسائل التي
ترفعه الى المقام الأعلى في العالمين ، وجعل لذلك حياته الشريفة سلسلة من التضحيات التي
تخشع من هولاء إرسيات تحملها صلى الله عليه وسلم لا كما تحملها الناس بل اعتنقها راضيا
مطمئنا طيب النفس فار السرية وأدع الضمير ، وكان شعاره الأعلى قوله لربه تبارك وتعالى :
ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي . وصقله الله سبحانه صقلا خاصا جعله خليقا بأن
يحمل لواء هذه العقيدة الأزلية ، وأن يسميه الله عز وجل أول المسلمين . ولحكمة سامية اختار
الله العرب ليحملوا هذه الرسالة الى العالمين ، فهذه الأمة لم تكن في سواء الأمم المحيطة بها بل
كانت دونها جميعا في نواحي الفكر والعلم والثروة والاجتماع ، وكانت حياتها كما نعلم بين
بحر من الدم وبحجم من الأحقاد ، ولكن أمرا واحدا هو الذي جعلها خليفة بهذا الشرف
العظيم . ذلك هو ما تجلج بين أضلاعها من قوة القلوب وقوة النفوس وقوة الارواح مما
يبيها لاحتمال التضحية الإسلامية بمزم وصبر وإيمان .

وعلى الرغم مما لقيه محمد صلى الله عليه وسلم في دعوة هؤلاء الناس من لدن الخصومة ونزق
لجهالة ، وسطوة العدوان ، على الرغم من ذلك كله لما اطمانت نفوسهم الى الإسلام اتخذوه
كأنخذ إبراهيم واسماعيل ، وموسى وعيسى والأسيباط والحواريون عهدا وميثاقا على أن يسلموا
وجوههم لله وألا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله ، وكانوا أصدق الناس حين بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تمت شجرة الرضوان على الموت ، وكانوا أقوى الناس
إيمانا وحينما سمعوا نزل الوحي تبارك وتعالى ” إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ

لَمْ الْجَنَّةَ يَمَاتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبِعْمِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْصُ الْعَظِيمُ .

الروح الإسلامي إذن قوة ربانية يقذفها في صدر المسلم فتملؤه صفاء وإخلاصا وحناء
بالنفس والجهد والمال في رضا واطمئنان . ومآتى هذه القوة ومصدر هذا الروح هو أن
يسلم المسلم وجهه إلى الله فإذا أسلم وجهه إلى الله فهو العظم المترفع القوي الأبى العزيز ومن
هنا يقول الله تبارك وتعالى ” وَبِاللَّهِ الْعِزَّةِ وَالرَّسُولِ وَاللِّمُؤْمِنِينَ “ .

إن هذه الشعائر الإسلامية التي فرضها الله إذا لم تكن وليدة هذا الروح السامى عدها الله
نفاقا ورياء ، ورددنا فلم يكن لها نصيب من القبول .

لقد كان المنافقون في العهد النبوي يصلون ويصومون ويؤدون الزكاة ويقدمون
الصدقات ويفعلون ما يفعل سائر المسلمين ، ولكن ذلك كله لم يأت به عن صفاء ولم يصدر عن
إخلاص ولم يكن عن إيمان ، بل كان عن روح واهن وسريرة مظلمة وقلب مريض ، فلم يفهم
ذلك من الله شيئا ، ولم يقدمهم ذلك كله خطوة واحدة بل لعنوا أكثر مما لعن عبدة الأوثان
وأعد الله لهم الدرك الأسفل من النار .

وفي حديث مسلم عن أنى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
” أول من يدعى به يوم القيامة رجل جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير
المال فيقول الله تعالى للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى ! فيقول : بلى يارب . قال
فما عملت فيما علمت ، فيقول كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله تعالى له كذبت
وتقول له الملائكة كذبت ، ويقول الله تعالى له : بل أردت أن يقال فلان قارئ وقد قيل
ذلك . ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى ألم أوسع عليك حتى لم أدمك محتاج إلى أحد
فيقول بلى يارب فيقول : فإذا عملت فيما آتيتك ، فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله
تعالى له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول له الله تعالى بل أردت أن يقال فلان جواد
وقد قيل ذلك ، ثم يؤتى بالذى قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى : فيما ذا قتلت ، فيقول أمرت
بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت بل
أردت أن يقول فلان بحرى . وقد قيل ذلك ، ثم ضرب رسول الله على ركة أبي هريرة فقل
يا أبا هريرة أولئك أول خلق الله تسع بهم النار يوم القيامة ” قال راوى الحديث شفى
الأصحبى فأخبرت معاوية بهذا الحديث فقال قد فعل هؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس
ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظن أنه هالك ثم أفوق ومسح عن وجهه وقال : صدق الله
ورسوله ” مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ “

أية الإخوان :

إن الروح الاسلامى على حقيقته هو اسمى روح أودعه الله صدر مخلوق. هو روح الانسانية السامية 'تقوية المتجهة الى الحق والى الإحياء، ونحن نعلم الى أى حد سما هذا الروح بالعرب بعد أن أكلتهم التمن وصرقتهم الأحقاد وأصبحوا على شفا حمرة من النار ، وكيف طويت لهم به الأرض ، ودانت لهم به بواحي 'لائم وأصبحوا بعد الجهالة الجهلاء أعلام علم ، واقطاب سياسة ، وكواكب هداية وأبطال فداء .

نص الآن أحوج ما نكون الى يقظة هذا الروح في وضعه الصحيح روح الصفاء الشف ، والتضحية القادية ، والألفة المتينة ، والقوة المكيمة ، والإحياء الوثيق .

نريد أن نبث هد الروح الكريم في نفوس الناس ، حتى نحصل على جيل إسلامى قوى يتخذ حيدعظيم . والطفل بنظرة ليس بعيدا من الله ، بل هو قريب منه بالطبع والفرينة . فلنرفع الجب يسه وبين الله ولنهمه دائما أن عليه من الله عيا تراه ولنحدثه دائما عن الله وعزته وقدرته وقوته ، وباراه وجهته ، وبورد ورحمته ، ولننهمه أنه المعيث في اللهفة والمعين في السارلة ولنمدد من الضحك ، والحافظ من الصياح .

وليعلم الآراء ، وليعلم المرين أن الشخصية الصالحة والتدوة الكريمة أفضل وسائل التربية وتعليم . وقد كانت شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم نفذ في قلوب أحبائه من قوله ، ليكن رائدكم أن يقتربوا من مثل الكامل حين يقتربون من أحبائهم ، والله يوفقنا جميعا الى الخير ويهدينا سواء السبيل ما

عبد الله عفيفي